في
التنوير الإسلامي
«٣١»

الدين والتراث والحداثة والتنمية والحرية

تأليف :
د . محمد خاتمي

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

في التنوير الإسلامي ٣١

الدين والتراث والحداثة والتنمية والحرية

تأليف :

د . محمد خاتمي

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع
أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة ١٩٣٨

اسم الكتاب: الدين والتراث والحداثة والتنمية والحرية

اسم المؤلف: د / محمد خاتمي

تاريخ النشر: فبراير ١٩٩٩م ، (طبعة أولى)

رقم الإيداع: ١٧٣٧ / ١٩٩٩م .

الترقيم الدولي: I . S . B . N 977 - 14 - 0901 - 8

الناشر: دار **نهضة مصر** للطباعة والنشر والتوزيع

المركز الرئيسي: ٨٠ المنطقة الصناعية الرابعة .
مدينة السادس من أكتوبر .
ت: ٣٣٠٢٨٧ / ٠١١ (١٠ خطوط)
فاكس: ٠١١/٣٣٠٢٩٦

مركز التوزيع: ١٨ ش كامل صدقي - الفجالة - القاهرة
ت: ٥٩٠٩٨٢٧ - ٠٢/٥٩٠٨٨٩٥
فاكس: ٠٢/٥٩٠٢٢٩٥ ص.ب: ٩٦ الفجالة .

إدارة النشر: ٢١ ش أحمد عرابي - المهندسين - الجيزة
ت: ٣٤٦٦٤٣٤ - ٠٢/٣٤٧٢٨٦٤
فاكس: ٠٢/٣٤٦٢٥٧٦ ، ص.ب: ٢٠ إمبابة .

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

صاحب هذا الكتاب لم يعد فى حاجة إلى تعريف . . فهو الدكتور محمد خاتمى ، رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية ، والذى أحدث اختيار الشعب الإيرانى له - بأغلبية كبيرة - هزات وتساؤلات وتنبؤات وتطورات فى الحياة الداخلية بإيران ، وفى العلاقات الإيرانية بدول الجوار والمحيط - العربى والإسلامى - وفى العلاقات الإيرانية - الدولية ، لاتزال متنامية حتى الآن . .

والدكتور خاتمى ، لقبه المفضل والأشهر «سيد» محمد خاتمى ، لأنه - وفق التقاليد الشيعية – من «السادة» ، أى آل بيت رسول الله ، ﷺ . . ولد سنة ١٩٤٣م بمدينة «أردكان» ، فى أسرة متدينة ، لوالد هو آية الله روح الله خاتمى . . وجمع فى دراسته بين أصول الفقه والفلسفة والتربية . . وشملت اهتماماته علوم الحديث وفلسفة هيجل وماركس . . وإلى جانب الفارسية ألم باللغات العربية والانجليزية والألمانية . . ولأنه قد جمع بين الثقافة الدينية والثقافة المدنية ، عندما تعلم فى «الحوزة» العلمية بمدينة «قم» الإيرانية ، ودرس فى جامعة طهران ، وتخرج منها . . فلقد تميزت رؤيته الفكرية بالأصولية الدينية المستنيرة ، ورؤية الحضارة الحديثة ، بتياراتها الفلسفية والاجتماعية والثقافية المتعددة . فهو يرى العالم من موقع العالم الدينى ، ويرى التراث الدينى من موقع المثقف المتفتح على ثقافات العالم ، وبذلك تميزت وتتميز رؤيته الفكرية

عن أولئك الذين أصابهم «العور الفكرى» ، فلا ينظرون إلا بعين واحدة : عين «الموروث» وحدها . . أو عين «الوافد» دون سواها! . .

لذلك كان الرجل نموذجا «للإسلامى» الذى لايخاصم العالم ، و«للعالمية» المنظور إليها من خلال حضارة الإسلام .

❖ ❖ ❖

أما الدراسات الثلاث التى نقدمها ـ للدكتور خاتمى ـ فى هذا الكتاب ، فهى ـ فى الأصل ـ ثلاث محاضرات ألقاها فى «لبنان» ـ قبل أن يصبح رئيسا للجمهورية الإيرانية .

أولاها: عن (الدين والعصر) .

والثانية: عن (التراث والحداثة والتنمية) ـ ألقاهما فى شهر ديسمبر سنة ١٩٩٦م .

والثالثة: عن (التنمية والحرية) ـ ألقاها فى صيف سنة ١٩٩٥م .

ولقد اخترنا هذه المحاضرات الثلاث من بين عدد أكبر من محاضرات الدكتور خاتمى[1] ـ لأن موضوعاتها من أكثر الموضوعات حساسية وإثارة للجدل بين تيارات الفكر فى وطن العروبة وعالم الإسلام . . ولأن هذه المحاضرات هى من بين ما ألقاه الدكتور خاتمى خارج إيران ، **ففيها كان خطابه لجمهور مفكرى الأمة ومثقفيها، وليس. كمحاضرات له أخرى. ألقيت فى إيران فجاءت محكومة بالموروث الشيعى وحده. أو أكثر من غيره. وموجهة إلى**

---

[1] ولقد سبق ونشرت هذه المحاضرات ، ضمن كتاب عنوانه (مطالعات فى الدين والإسلام والعصر) ، قدم له السيد محمد على أبطحى ، وطبعته دار الجديد سنة ١٩٩٨م .

جمهور الشيعة دون غيرهم، أو قبل غيرهم من المفكرين والمثقفين فى عالم الإسلام..

لذلك، سيجد القارىء لهذه الدراسات نفسه أمام عالم إسلامى، لا يحبسه مذهب، ويخاطب الأمة، لا شعبا بعينه، ولا دولة قطرية بذاتها.. كما سيجد القارىء نفسه بإزاء مصلح إسلامى، ملتزم بأصول الإسلام، وبمنظاره يرى العالم بأسره، كما يرى الإسلام فى ضوء القضايا والتحديات العالمية التى تواجه الإسلام والمسلمين.

❖ ❖ ❖

ورغم أن أهمية الأفكار والقضايا التى تناولها الدكتور خاتمى فى هذه الدراسات . . والوضوح الذى امتاز به عرضه لهذه القضايا ، يغرينا بأن ندع القارىء وجها لوجه مع هذه الدراسات ، ودون مقدمات . . إلا أن قليلا من الأضواء على الموقع الفكرى للدكتور خاتمى ، وعلى القضايا التى تناولها فى هذه الدراسات قد يكون ضروريا فى التعريف ، وفتح الأبواب لجمهور القراء . .

● فالدكتور خاتمى يضع نفسه ـ كما يضعه فكره ـ فى «**المدرسة الإصلاحية الإسلامية**» . . لكنه يتميز بين رجالات الإصلاح الإسلامى بالانتماء إلى «**المذهب العرفانى**»، الذى يعتمد فى تحصيل الحقيقة الدينية ـ وليس فى دراسة الكون والاجتماع والسياسات ـ على «**القلب**»، القادر على «**الوصول**» إلى المطلق واليقين . . ولكن دون نبذ «**للعقل**»، الذى هو سبيل الوصول إلى أصل الوجود الغيبى ؛ وبه تتيسر الحياة . . فعنده «أن السبيل **المطمئن لمعرفة الله عز وجل، هو طريق الوصول لا الفهم، وطريق**

القلب لا العقل، هو الطريق الذى أكدته الأديان بقوة. ولقد علمنا أئمة الإسلام بأن «العقل ما عُبد به الرحمن واكتُسب به الجنان». وهذا يعنى أن العقل هنا هو مصدر عبادة لا مصدر فهم. وفى قول آخر، رأوا العبادة سبيلا إلى اليقين، وليس الانتقال من المقدمات المعلومة إلى النتيجة المجهولة، ودليل هذا ما جاء فى القرآن الكريم: ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾(١) وهذا يعنى أن الطريق المطلوب للمعرفة الدينية الإلهية هو طريق الوصول لا الفهم.

وهذا، بطبيعة الحال، لايعنى، بأى وجه، التنكر لقوة العقل والمعرفة الفلسفية والعملية، وخاصة فى الإسلام، الذى اهتم إلى حد بعيد، بالعقل وبالتدبر، ولكن لابد من معرفة حدود كل بُعد من أبعاد روح الإنسان، ومن أراد أن يكون مؤمنا صادقا فلابد له من سلوك طريق القلب(٢)... إن العقل هو المشترك بين الناس. وهو لايستطيع إيصالنا إلى الحقيقة المطلقة.. ونحن لا نستطيع بلوغ الكنه المطلق بالعقل، وقد ذكر العارفون أن ما يُفهم من العقل كمصطلح يقوم بهذا الفهم فى المطلق، هو القلب، لا العقل.

وهنا تعرض مسألة دقيقة لابد من جلائها. فنحن إما أن نُبقى على سلطان العقل من البداية، وإما أن نضعه ونضع الإيمان فى مقابله، فيأخذ هذا الإيمان الموضوع مقابل العقل فى توجيه الإنسان أولا فأولا نحو الإيمان الكلى، ومن هنا يكون السلطان للقلب، كما عرفه العارفون،

---

(١) الحجر: ٩٩.

(٢) العبارة القادمة من حوار مع د. خاتمي، أجرته وأذاعته محطة «تلفاز المنار» اللبنانية في ديسمبر سنة ١٩٩٦م.

ويكون له وحده أن يقودنا إلى عالم ما وراء الطبيعة، بأن الوجود أكبر من المادة وأعم، وأن ثمة غيبا في مقابل الشهود، وهي الأبواب التي يدخل منها القلب.

وإذا قبلنا بالعقل والقلب فإننا نستطيع بلوغ الإيمان، ولكننا إذا نبذنا العقل فلن نلبث أن نُخرج الدين من ساحتنا بعد مدة قصيرة، لأن العقل آلة لا تتيسر الحياة من دونها. فنحن بالعقل نصل إلى أصل الوجود الغيبي، وبه نُرسِّخ الفهم عن الوصي (١). ومن ثم تكفينا الرياضة، ومجاهدة النفس للمضي قُدما نحو الحقيقة. بيد أننا عندما نريد فهم الكون والوحي فإننا نتوسل بالعقل وسيلة، ولكن مع ملاحظة أن استنتاجاته نسبية، الأمر الذي يحفظنا من الظن مثلا أن ما نفهمه من القرآن والسنة هو عين الحقيقة.

إن بوسعنا، في أزمنة متعددة وفي أمكنة مختلفة، أن نصل بالعقل إلى أكثر من فهم للنص، وهو أمر يتفق وجوهر الدين الذي يؤكد أن فكرنا الديني متطور ومتغير دائما....

وغني عن البيان، أن هذا الطريق - طريق الوصول لا الفهم - والذي سلكه ويسلكه أصحاب «المذهب العرفاني»، هو طريق حق وصعب في ذات الوقت، لا ينكره عاقل، لكنه ليس الطريق العام الميسور الذي يستوعب الأمة.. فالعقل الذي «تترطب» معارفه بالقلب، والقلب الذي تُضبط بواطنه وإلهاماته وهباته بالعقل، هو طريق الشريعة والجمهور.. صحيح أن هناك من يصل إلى سقف

---

(١) الوصي - في عقائد الشيعة، التي يختصون بها، ويخالفهم فيها كل مذاهب أهل السنة - هو الإمام المعصوم.

الحقيقة المقدورة للإنسان بالعقل وحده.. ومن يصل إلى هذا السقف بالقلب وحده.. لكن هؤلاء وهؤلاء من الندرة بحيث يشير إليهم الزمان بأصابع الأجيال! - كما كان يقول الإمام محمد عبده - عليه رحمة الله.

● والدين - الذي خصه الدكتور خاتمي في هذه الدراسات بمحاضرة كاملة - هو: المقدس، المتسامي، المتعالي.. وهو الفطرة التي فطر الله الناس عليها، والتي بدونها لا معنى لحياة الإنسان.. «فالدين توأم الإنسان، وأقدم الموجودات البشرية. وحياة الإنسان من غير دين ومن دون التسليم لأمر متعال وسام لا معنى لها. فجوهر الدين مقدس متعال، ولو جُرد الدين من القداسة والسمو لخرج عن كونه دينا...».

● ولأن «الدين» وضع إلهي ثابت، ومقدس، ومتسام، ومتعال.. تميّز - في الرؤية الإسلامية - عن «الفكر الديني»، الذي هو اجتهادات بشرية - ظنية - والذي يمثل رؤية العلماء والمفكرين للوحي وللكون، ولعلاقة الأحكام بالواقع الذي يعيش فيه هؤلاء المفكرون والعلماء. «فالتمييز بين الدين وبين الفكر الديني، ضرورة لتمييز «الإلهي» عن «البشري»، والمقدس عن ما لا عصمة له، كما هو شرط للتطور الذي يواكب المستجدات والمتغيرات. ومن هنا تتلخص خدمة الدين - في عصرنا - في التمييز، بشجاعة، بين جوهر الدين كشأن مقدس ومتسام، وبين تصورات الإنسان عنه، والتي هي أمر محدود ونسبي ويدركها التغيير. وبذا تظل للدين منزلته المقدسة في أعماق أفئدة المؤمنين، وتفتح، من جهة أخرى، آفاق التحول الإيجابي في الفكر الديني... وإذا حلّت التقاليد وحل فهم الإنسان

المحدود محل الموضوعات المقدسة والمتسامية، ففى هذه الحالة سيعد أى نوع من الاعتراض على هذا الفهم والعرف بدعة وخروجا على الدين، وعندها تُحسى محاربة المبتدع أمرا مقدسا وساميا...».

- وتراث الأمة هو معين الهوية التاريخية والاجتماعية للحضارة والأمة ، وهو سبب تميز ثقافة الأمة عن ثقافات الأمم الأخرى . .

لكن هذا التراث يجب أن لا يكون عقبة أمام التغيير والتقدم والتجديد ، وإنما يجب أن يستند إليه ويرتكز عليه أى تغيير . . فلا يجب تحويل التراث إلى عقبة أمام التغيير . . ولا يصح أن يتم التغيير بمعزل عن التراث . . ذلك أنه «هو معين الهوية التاريخية والاجتماعية للأمم، وخاصة الأمة التى لها حضارة متميزة وثقافة غنية. فالتراث تجلٍ لثقافة المجتمع، ولا مجتمع من دون ثقافة... والقضاء على التراث يعنى مصادرة أساس الهوية التاريخية والثقافية للأمة والقضاء عليها.

وإذا ما قُدر لأمة أن تتغير، فإنه ينبغى لها فى البدء أن تستشعر وجودها وشخصيتها من خلال ارتكازها إلى هويتها التاريخية، لكى تتمكن من الانطلاق منها... ألم يستيقظ الغرب بفضل عودته إلى التراث، إذ عاد المفكرون إلى التراث اليونانى، الفكرى والفنى، وإلى تراث روما الاجتماعى، عصر النهضة، كما عاد المتدينون إلى ما كانوا يعتبرونه حقيقة دين المسيح الحقيقى، عصر الإصلاح، وكانت هذه العودة ذاتها مصدر إلهام لعصر البناء والإعمار.. فلا مفر من الاتكاء على التراث حتى فى الصراع معه.. والمنهج السليم هو أن تكون لنا مساهمة واعية حذرة فى عملية التغيير والتحول، وفى إعادة صياغة التراث باعتباره موضوعا بشريا.. والحذر من اعتبار التراث أمرا مقدسا لا يحتمل التغيير...».

● أما «الحداثة» التي شغلت فضاء ثقافتنا، ودار الجدل حولها منذ أكثر من قرن من الزمان. فإنها هي ثقافة الحضارة الغربية الحديثة والمعاصرة، التي تميزت عن الثقافة الإسلامية، بل وعن ثقافة أوروبا في العصور الوسطى الأوروبية «بالتمحور حول الإنسان» بدلا من «التمحور حول الله».

فالحداثة تعبير عن التحولات التي جرت في الغرب في العصر الأخير من تاريخ الإنسان، وبالتالي تشكل تحولا، تعبير أدق عن الحداثة روح الحضارة الحديثة، والثقافة المتمحورة معها. فلكل حضارة ثقافتها التي تتمحور معها. والاختلاف والتمايز بين الثقافة الدينية، التي تتمحور حول الله. وبين ثقافة الحداثة الغربية، المتمحورة مع الحضارة الغربية، التي تتمحور حول الإنسان. إنما هو اختلاف جوهري في جنس الحضارات

لقد كانت ثقافة العالم الإسلامي وثقافة الغرب في العصور الوسطى، على عمومها، نوعين من جنس واحد، بمعنى أنهما صنف نوع واحد، وكان بين وجوه الشبه بينهما هو المحورية الإلهية في فكر الإنسان وعقائده وفي نظامه الفكري والأخلاقي والاجتماعي. ولقد جرب الغرب ثقافة العصور الوسطى هذه، وكان من نتيجة حربه عليها ظهور حضارته الحديثة وثقافتها الحديثة، التي نسبت للإنسان سيادة المحورية فيها. فكان ذلك التحول، من محورية الله إلى محورية الإنسان، أبرز وجوه الاختلاف بين ثقافتنا وتقاليدنا الثقافية وبين ثقافة الغرب وحضارته الحديثة

● والسؤال: كم حداثة من الغرب [illegible] وكيف يطرحها ويتحاور فيها ويتحدث حولها المثقفون [illegible] المطلعون من النخبة الفكرية

والاجتماعية والاقتصادية والسياسية العربية [illegible] هذه التسمية - في رأي الدكتور الجابري - هي نموذج عربي متميز، لأنها هي عصارة الحضارة العربية، وذات الثقافة الخاصة بها، المتمحورة حول الإسلام، بدلاً من الله [illegible] فنموذج هذه التسمية هو خصوصية عربية، وليس بالنموذج العام أو العالمي، الذي يجب أن تسلكه الحضارات والثقافات غير العربية [illegible] وإذا كانت "الحداثة" أي الثقافة المتمحورة حول الإنسان هي روح الغرب الحضاري، فإن "التسمية" التي جاءت مع الحداثة، هي عصارة هذا الغرب الحضاري، دون غيره من الحضارات.

إن المجتمعات بحاجة إلى البحوث والتكامل ولكن [illegible] التسمية، [illegible] العربي [illegible] أكثر من منهج في البحوث [illegible] ليست المنهج الواحد [illegible] ونحن اليوم نعيش في عصر يتطلب فيه أكثر من أي وقت مضى، [illegible] الحضارة الحديثة وروحها [illegible] من خارج العالم العربي فحسب، بل [illegible] العرب [illegible] في عصر شكل الحداثيون [illegible] في شمولية الحضارة العربية وقدرتها على تحقيق النهضة المرجوة ولا [illegible] الأمر.

إن وعلى هذا الأمر [illegible] عن [illegible] المعنى [illegible] التسمية العربية [illegible] التسمية التي تطرح في هذا العصر هي شأن عربي وهي تنطوي على مفهوم [illegible] من التسمية مفهوماً [illegible] فلا [illegible] من [illegible] الحضارة العربية [illegible]

[illegible] التسمية [illegible] تطرح [illegible] المعهود

• ماذا عسانا أن نفعل في عصر [illegible]؟

لا نستطيع، بل لا ينبغي لنا أن نعود القهقرى ١٤ [illegible] إلى الوراء، إلى نقطة البداية، التي انبثق منها الغرب حتى وصل إلى حيث هو ونضاعف [illegible] دام كنا أهل تدبر واعتبار، أن نشق طريقنا إلى المستقبل بملاحظة التجربة الغربية، فنسجل [illegible] ونواقصها، كي نتوفر على اختيار الأفضل وبلوغه. ذلك أن الشرط في [illegible] الأساسي هو تطور الحضارة العربية.

● أما الحرية - التي نتحدث عنها جميعا [illegible] الكافة [illegible] ويختلف حولها الأكثرون فإنها تعني في فكر الدكتور خاتمي - الحرية المسئولة عن ثوابت الأمة، لا التي تعصف باسم الحرية بهذه الثوابت [illegible] وهي أيضا تعني المسئولية الأخرى بتغيير واقع الأمة الذي لا بد من تغييره وتجديده وتطويره، و[illegible] المسئولية التي توقف عجلة التغيير باسم الحفاظ على التراث. إنها ليست مجرد كلمة تقال [illegible] بل إنها مهمة [illegible] وإنها تتوزع [illegible]

فالمقصود بالحرية بشكل دقيق، هو حرية الفكر، وتوفر عنصر الأمن في ساحته، وبهذه المقدمات المتلازمة يمكن تثبيت الحرية وضمان هذا الأمن [illegible] التغيير والتجديد يستدعي تنشيط الفكر، والفكر لا ينمو إلا في إطار الحرية وعلى أرضيتها.

إن الغرب [illegible] باسم الحرية، و[illegible] الحرية باسم الدفاع عن الناس ومصلحة الناس [illegible] لعبة و[illegible] تنوء في جامعات وفي مدارس وفي بيوت لا [illegible] وبساطة فلا نشكو خطة في [illegible] من [illegible]. لا ينبغي أن ننتظر حتى نشارك من قبل الآخرين

إن تبيين المطلوب والصواب هو أن يصل بحثه المجتمع وأن يصل مفكروه والمسؤولون الذين يشدون الخيط في إدارة الأمور فيه، إلى ميثاق يتوافقون فيه على الآتي:

ولا أعتقد أن نكف عن البحث في تقدم العصر عن مثال واحد للحرية يتحول إلى نموذج يُقتدى، يصلح للتعميم على الأمم جمعاء

ومع أن جوهر الحرية واحد يمكن لكثير من الأمم والشعوب التي تستطيع أن تجرب وجوه مختلفة للحرية بحسب تفاوت الأوضاع والتجربة الاجتماعية، حتى يكون لها خبرات مختلفة في طرق الحرية وتحديد أولويات مراتبها

لذا أعتقد أن نسعى لخلق جو نستطيع فيه أن نتحمل بعضنا بعضاً بهدوء، كما أعتقد أن نجتهد كي نصل إلى تعريف للحرية يرضي الجميع وأن نتوافق على الحد الأدنى وعلى الأولويات، شرط أن نوصل ذلك تدريجياً

● ومن كتاب الدكتور حنفي قد استنتجت خلاصة رؤيته الإسلامية، وأنه يرى الإسلام على خارطة العصر، لا معزولاً عن العصر ومن كل هذا العصر، إذ فيه موقع للإسلامي بل وللمفكر الإسلامي المعاصر يعاني من الهيمنة الغربية، ويتشتت مع مركزية غربية، ويتمزق مع تصنيفات من الفكر الغربي، ويجد نفسه مدفوعاً عن ثقافته نقيضة لتصنيفات أخرى من ثوابته الفكرية العربية ... ما كان هذا هو حاله مع الغرب ... الوجوه ... قرنين من الاستعمار لأغلب أقطار العالم الإسلامي وهيمنة عليها يحتشم

ذهن وعقول، وليس فقط محتلا لأراضيه [illegible] لكن لا بد أن يكون

حنفي من أن يعرض موقفه من الغرب، ورؤيته للتعامل معه

وقد رأيناه يؤكد على أن الغرب ظاهرة مركبة، يجب أن نعرف عنها، لا نقلدها كلها، ولا نرفضها كلها، وإنما نحاول نستفيد منها، ولنستفيد مما فيها من إيجابيات [illegible]. فمن النادر أن نجد شعبا أو بلدا عربيا أو مسلما لم تصبه ظاهرة سيطرة الغرب السياسي والاقتصادي سواء في صورته الاستعمارية القديمة، التي نهبت خيرات الآخرين المادية والمعنوية، ودمرت الثقافة والشعوب، وروج الإعلام الكاذب والإشهارية، وأدت إلى أفول بريق الكثير من القيم الإنسانية والمثل المعنوية والأخلاقية من واقع حياة الإنسان، لدى ظهرته [illegible] عبر نزعة السلطة المعاصرة التي تركته وسيطرت عليه

وبيان الغرب السياسي، الاقتصادي، ليس إلا وجها من وجوه الغرب، فالغرب بجملته هو حضارة ذات ثقافة خاصة، وهذه الحضارة وهذه الثقافة قامت على مبادئ فكرية وقيمية خاصة، ومن دون التعرف عليها والإحاطة بها تبقى معرفتنا بالغرب معرفة سطحية وظاهرية ومصنة

ويسعى عند هذه النقطة إلى درء خطر الغرب من جهة والاستفادة من إنجازاته ومكتسباته الإنسانية من جهة أخرى، ولكن هذا ممكن إذا ما صح فكرنا وارتقى فعلى طريق [illegible] قدرة على التشخيص والانتقاء، وينمو فيهم قوة [illegible] واختيار...

- ونلاحظ هنا للدكتور حنفي الحديث عن مواقفه الفكرية التي تبلورت في حياته الفكرية إزاء الغرب

فأمام الحضارة الغربية ، وثقافتها الحداثية الوافدة إلى بلادنا ، فى ركاب الغزوة الاستعمارية ، تبلورت فى بلادنا الإسلامية تيارات فكرية ثلاث :

١ - التقليديون - المتشبثون بالتراث :- وهم الذين أصروا دائما على التمسك بالتراث بكل أبعاده ووجوهه، أو لنقل، بتعبير آخر، أصروا على تقليدهم وتصورهم الذهنى وسلوكهم الذى اعتادوه، وكان بالنسبة لهم أمرا مقدسا فى مقابل التجديد أو الحداثة، واعتقدوا أن بالإمكان العيش فى إطار التقليد الضيق الموروث عمن سلفهم بإيصاد الأبواب فى وجه أمواج الحضارة الغربية وثقافتها المندفعة...

٢ - والمتغربون - المقلدون للنموذج الغربى :- وهم الذين خيل إليهم أن الأزمة قابلة للحل من خلال قبول الحضارة الغربية بجميع أبعادها ومتطلباتها ومستلزماتها، بما فى ذلك ثقافة الحداثة.. وهؤلاء - بتحقيرهم للتراث واستهزائهم به، بدلا من تحليله ونقده - تجاهلوا نفوذه الراسخ، ولم يتمكنوا، فى أى وقت، من الحصول على موطن قدم فى مجتمع يعى التراث ويأنس به.. فمكثوا فى عزلة موجعة، ولذلك تعلقوا - بدافع المحافظة على بقائهم - بأذيال الحكومات المستبدة، أو أمسوا، عمليا وعن وعى فى الكثير من المواقف، منفذين لتطلعات الغرب الاستعمارية فى بلدانهم...

٣ - والإصلاحيون: الذين يتعاملون مع التراث ومع الغرب الحضارى بمنهاج نقدى . . جعلهم يجمعون ؛ بالتجديد - المستصحب للثوابت ، والمجدد فى المتغيرات - كلا من ميزات التقليديين وميزات الحداثيين ، دون سلبياتهما . . فهذا التيار الإصلاحى ينطلق من مبدأين :

«الأول: هو «العودة إلى الذات» وإحياء الهوية الثقافية، التاريخية لأمتهم وشعبهم.

أما الثاني: فيقول بـ «التعامل الإيجابي مع معطيات التمدن البشري» وفي الوقت ذاته اتخاذ الحيطة والحذر في مقابل نزعة الغرب التوسعية وتوجهه الاستعماري».

ولقد حدد الدكتور خاتمى للإصلاح - الذى يعد نفسه واحدا من تياره - شروطا .. فالإصلاح عنده ليس مجرد فكر .. وإنما هو فكر تضعه «السياسة» فى الممارسة والتطبيق .. «**فالإصلاح لا يتحقق إلا إذا تبعت السياسة والنشاط السياسى الفكر والحكمة، ولم يُبقيا نطاقا مفروضا على الأفكار**»..

والفكر، الذى هو شرط الإصلاح، لابد أن يكون فكرا مبدعا وإبداعيا، لا مجرد تكرار للإبداعات التى تجاوزها الواقع ونسخها التطور، وطوى العصر الجديد صفحتها .. بل إن الإبداع - عند خاتمى - هو شرط صمود الهوية فى المواجهات الحادة أمام التحديات الشرسة التى تواجهها حضارتنا وثقافتنا .. فالإبداع هو سبيل بلورة البدائل الإسلامية، التى تملأ بها فضاءنا الثقافى، حماية له من أن يملأه «الوافد» الضار! .. «**فالمجتمع الذى يفتقر إلى الفكر المبدع يفقد هويته فى أول مواجهة مع أية مشكلة**»..!

❖ ❖ ❖

● وأخيرا ... ينطلق الدكتور محمد خاتمى من هذه المعالم الفكرية، التى قدمها حول (الدين .. والتراث .. والحداثة .. والتنمية .. والحرية) إلى نظرة مستقبلية، تبشر بحضارة إسلامية

جديدة ، أو - بمعنى أدق - مستقبل جديد ، تتجدد فيه حضارة الإسلام وثقافتها الإسلامية .. فيقول :

«علينا، فى سبيل تحديد معالم عصرنا الراهن، أن نتطلع إلى المستقبل، ولكى نتمكن من تصور مستقبلنا تصورا سليما ومقبولا، فلن يكون أمامنا خيار سوى أن نعى ماضينا ونألفه ونأنس به.. وأن نتسلح بنقد الحداثة والتراث معا، وأن نكون أصحاب رؤية جديدة فى حياة الإنسان، فى وقت نرتكز فيه إلى ماضينا الذى أنتج حضارتنا، وأن نستفيد - ونحن نتجاوز الغرب - من معطيات الحضارة الحديثة الباهرة، لاسيما وأننا نمتلك فى التاريخ سابقة حضارية تركت بصماتها على مصير العالم والإنسان..».

فنحن «نتجاوز الغرب» ، دون أن نغلق دونه فنرفضه جميعه .. و«نرتكز إلى ماضينا» ، دون أن نهاجر إليه .. وإنما لنقفز إلى مستقبل جديد ، تتجدد فيه حضارة الإسلام وثقافتها الإسلامية ..

* * *

تلك إشارات إلى أهم القضايا المحورية التى تناولتها الدراسات الثلاث التى كتبها الدكتور محمد خاتمى ، والتى نقدمها إلى القراء .. أما الآفاق .. والتفاصيل .. ولبنات هذه الرؤية - الإسلامية ، الموضوعية والمشرقة ، فإننا نترك القراء وإياها فى صفحات هذا الكتاب .

والله نسأل أن ينفع به .. إنه أفضل مسئول ، وأكرم مجيب .

دكتور / محمد عمارة

إلى القارئ العزيز ..

فى هذه السلسلة الجديدة :

إذا كان «التنوير الغربى» هو تنوير علمانى، يستبدل العقل بالدين، ويقيم قطيعة مع التراث ..

فإن «التنوير الإسلامى» هو تنوير إلهى، لأن الله والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم: أنوار، تصنع للمسلم تنويرا إسلاميا متميزا.

ولتقديم هذا التنوير الإسلامى للقراء، تصدر هذه السلسلة، التى يسهم فيها أعلام التجديد الإسلامى المعاصر:

- د. محمد عمارة
- د. حسن الشافعى
- أ. فهمى هويدى
- د. سيد دسوقى
- د. عبدالوهاب المسيرى
- د. عادل حسين
- المستشار طارق البشرى
- د. محمد سليم العوا
- د. جمال الدين عطية
- د. كمال الدين إمام
- د. شريف عبد العظيم
- د. صلاح الدين سلطان

وغيرهم من المفكرين الإسلاميين ..

إنه مشروع طموح، لإنارة العقل بأنوار الإسلام.

الناشر

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع